

قضايا الإنسان السياسية في الشعر العربي في العهد المملوكي الأول

Human political issues in Arabic poetry In the first Mamluk era

المؤلف الثالث	المؤلف الثاني	المؤلف الأول	المعطيات
	د.عبدالرحيم محمد عبدالله حسن الواصلي	أ.م.د. طاهر سيف غالب منصور	الاسم واللقب
	دكتوراه	دكتوراه	الدرجة العلمية
	جامعة إب-	جامعة إب-	جامعة الانتماء
	اليمن	اليمن	البلد
	ablw2017@gmail.com	tahersaif1972@gmsil.com	البريد الإلكتروني
ablw2017@gmail.com		الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل	

ملخص:

يهدف البحث إلى رصد أهم قضايا الإنسان السياسية، التي عبّر عنها الشعر العربي، في كل من مصر وبلاد الشام، خلال العهد المملوكي الأول (648-784هـ)، واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع مادة البحث ورصد قضاياها ونصوصه، متناولاً لها بالوصف والتحليل، وخلصت نتائج البحث إلى أنّ الشاعر العربي قد عبّر عن مجموعة من القضايا السياسية ذات الصلة بحياة الإنسان العربي في واقعه الاجتماعي والسياسي، بصورة تثبت معاشة الشاعر لتلك القضايا، وتؤكد إنسانية الشعر العربي في العهد المملوكي الأول.

كلمات مفتاحية: قضايا؛ سياسية؛ شعر؛ عربي؛ مملوكي.

Abstract:

The research aims to monitor the most important human political issues, which were expressed by Arab poetry, in both Egypt and the Levant, during the first Mamluk era (648-784 AH). The research adopted the inductive method in tracking the research material and monitoring its issues and texts, dealing with them by description and analysis. The results of the research concluded that the Arab poet has expressed a set of

political issues related to the life of the Arab man in his social and political reality, in a way that proves the poet's coexistence with these issues, and confirms the humanity of Arab poetry in the first Mamluk era.

Keywords: Issues; political; poetry; Arabic; Mamluk.

* المؤلف المرسل: د.عبدالرحيم محمد عبدالله حسن الواصلي، الإيميل: ablw2017@mail.com

1. مقدمة:

إيماناً بأهمية البحث والدراسة في قضايا الشعر العربي لاسيما في العصر الوسيط الذي تقلّ فيه الدراسات والبحوث مقارنة بغيره من العصور السابقة أو اللاحقة؛ لذا كان نشر هذا البحث الذي تناول ظاهرة موضوعية، هي قضايا الإنسان السياسية في الشعر العربي في العهد المملوكي الأول، في كلّ من مصر وبلاد الشام، أملاً في أن يسهم البحث في توضيح جانباً من الصورة الحقيقية للشعر العربي في هذه الحقبة.

فإنّه مما كان لافتاً للانتباه في مظاهر الحياة العامة، في مطلع العصر الوسيط هو توالي العنصر الأجنبي لمقاليد السلطة والحكم بصورة واضحة، وفي أعلى المناصب، واستمرار غياب الحاكم العربي لمدة طويلة تجاوزت قروناً، فضلاً عن حالة عدم استقرار شهدها المجتمع العربي خلال هذه الحقبة بفعل الحروب الصليبية والمغولية والصراعات على السلطة والحكم، ومظاهر الفساد السياسي، وتفشي المحسوبية والظلم والفقر والبطالة، مما أثار تساؤلات مفادها كيف كان موقف الشاعر العربي من قضايا الإنسان في مجتمعه لاسيما القضايا السياسية، سواء أكان في قضايا الحروب والصراعات، أم في قضايا الفساد والظلم والسلوكيات السياسية الخاطئة؟ وكيف كانت نظرتة للحاكم المملوكي؟

ومما أكد العزم على تناول هذا الموضوع أنّه لم يسبق لأحد دراسته بصورة واضحة ومستقلة، وما وقف عليه هو فقط مجرد إشارات عرضية في بعض الدراسات التي تناولت الأدب العربي في العصر الوسيط، باستثناء بحثين لهما علاقة بهذا البحث: أحدهما لـ(عبد الرحيم، رائد، 2013م، صور من النقد السياسي في أدب العصر المملوكي الأول -موقف السلطة من المثقف أنموذجاً، الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج6، ع84، الصفحات49-121)، وقد ركز البحث على قضية واحدة فقط، هي انتقاد موقف السلطة من المثقف، سواء أكان ذلك الانتقاد شعراً أو نثراً أي في أدب العصر بمختلف فنونه وثانيتها لـ(الأيوبي، ياسين، جدلية

العلاقة بين الشعر والسلطة في العصر المملوكي، أكتوبر 1988م، لبنان، مجلة الفكر العربي، مج9، ع53، الصفحات190-206)، وأشار الكاتب في مقدمة بحثه إلى ما قصده من عنوانه وهو نظرة السلطان إلى جمهرة الشعراء وكيفية تعامله معهم، فالبحثان السابقان وإن التقيا مع هذا البحث في بعض الجزئيات والشواهد غير أنه يختلف عنهما في محور التناول والتحليل فالبحثان ركزا على قضية واحدة وهي وصف نظرة السلطة إلى المثقف أو الشاعر، فيما يركز هذا البحث على نظرة الشاعر إلى قضايا مجتمعه السياسية- ومنها نظرتة إلى الحاكم وأفعاله وسلوكياته- واهتمامه بها وتفاعله معها بوصف ذلك بعداً إنسانياً؛ إذ يواكب الشعر قضايا الإنسان في مختلف مجالات حياته عاطفياً ونفسياً، وفكرياً وروحياً، واجتماعياً وسياسياً، والمتأمل في الشعر العربي خلال العهد المملوكي الأول يجد أنّ الشعراء قد تناولوا قضايا الإنسان السياسية بشكل لافت، وشعرهم فيها يشكّل مادة خصبة وواسعة، ما يجعل من الموضوع ظاهرة بارزة تستحق الدراسة والتحليل.

واعتمد البحث المنهج الاستقرائي في رصد المادة العلمية وتتبع النصوص مستعيناً بالتي الوصف والتحليل في وصف ظواهر الموضوع وتحليل مادته، واستخلاص نتائجه، كما اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم على مقدمة ومبحثين ونتائج، خصّص المبحث الأول لدراسة قضايا الانتصارات والنكبات، فيما خصّص الثاني لقضايا نقد ظلم السلطة وفسادها السياسي والاجتماعي، ويعقبهما خاتمة تتضمن أهم ما توصّل إليه البحث من النتائج.

2. المبحث الأول: قضايا الانتصارات والنكبات:

يُعدُّ الشّعر العربي سجلاً تاريخياً وثّق به الإنسان العربي كثير من أحداث عصره وزمانه، لا سيما الأحداث السياسية الكبرى التي كان لها أثرها في المجتمع بشكل عام، ومن ذلك شعر الانتصارات والنكبات، إذ واكب الشاعر العربي بشعره كلّ تلك الأحداث مسجلاً حضوره، ومشاركته لمجتمعه أفراح أمجاده وانتصاراته، وآلام جراحاته ونكباته في مختلف العصور الأدبية والتاريخية.

وفي العهد المملوكي الأول يحمل الشاعر العربي على عاتقه هذه الوظيفة الإنسانية فيعبّر عنها في شعره بكل صدق وإخلاص، ويواكب سلطانه ومجتمعه في الوقائع والأحداث القومية

الكبيرة، من فتح وانتصار، أو هزيمة وانكسار، ينظر: (الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي 1995م، 270).

1.2. أ- قضايا الانتصارات:

شهد العهد المملوكي الأول حروباً كبيرة ومواجهات عسكرية طويلة بعضها كان امتداداً لصراعات سابقة أهمها الحروب الصليبية، فيما شهد صراعات جديدة أشدّ شراسة وضراوة، وهي الهجمات المغولية والتترية التي غزت البلاد العربية واجتاحت مدنها بعد أن سقطت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، في مطلع العهد المملوكي الأول، فقد كان للبطش والتنكيل والخراب والتدمير الذي أحدثه المغول أثر كبير على الإنسان العربي في مختلف جوانب حياته الإنسانية نفسياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وحضارياً، مما جعله يفقد الأمل بإمكانية قيام الأمة العربية باستعادة ما سلبه المغول من مدنها وحضارتها وعزتها، ومَسَحَ ما لحق بعزتها وبكرامتها من عار الدّل والهوان، وفي ذروة هذا الإحباط واليأس يحدث ما يمكن عدّه بالمعجزة في واقعة عين جالوت على الحدود المصرية والشامية سنة 658هـ، إذ حدث ما لم يكن في الحساب، وانقلبت الموازين، وانتصر جيش الإسلام بقيادة السلطان المظفر قطز، وهُزم المغول وولوا مدبرين، ينظر: (بن الوردي 1996م، 2 / 176-190)، و (بن تغرى بردي دت، 6 / 361-369)، (عاشور 1976م، 11-15)، و (سلام دت، 1 / 13-22).

وقد شكّل هذا النصر باكورة الأمل في قلوب المسلمين، وارتفعت معنوياتهم بعد ما لحق بهم من الهزائم والنكبات، فانبرى الشعراء يعبرون عن مشاعر الفرح والارتياح بهذا النصر، ويصورون فخرهم واعتزازهم بشجاعة جيش المسلمين وقائده، فعبر شرف الدين الأنصاري ت662هـ عن أثر الانتصار في هذه الواقعة على قلوب المسلمين فقال مادحاً أحد أبطالها: من الكامل (باشا دت، 557)

قَيِّدَتْ أَبْطَالَ التَّتَارِ بِصَوْلَةٍ	تَرَكَّتْهُمْ كَالصَيِّدِ فِي الْأَشْرَاكِ
فَالطَّعْنُ وَالطَّاعُونُ أَسْلَمَهُمْ إِلَى	حَرْبٍ كَأَشْدَاقِ الْمَخَاضِ دِرَاكِ
بَرَدَتْ أَكْبَادَ الْوَرَى بِقَوَاضٍ	قُذِفَتْ عَلَيْهِمُ كَالضَّرَامِ الدَّائِي
أَصْحَكْتُ سِنَّ ثُغُورِنَا مِنْ بَعْدِ مَا	ظَفَرُوا بِهَا فَبَكَى عَلَيْهَا الْبَاكِ
فَلَقَدْ أَنْمَتَ الْمُحْصَنَاتِ أَوْامِنًا	وَلَقَدْ أَقَمْتَ شَعَائِرَ الدُّسَاكِ

ومن ذلك قول أبي شامة المقدسي ت665هـ مشيداً بقائد المسلمين في الواقعة نفسها: من

البسيط

(المقدسي 1974 م، 208)

غلب التاتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلهم وبدد شملهم ولكل شيء آفة من جنسه

وفي واقعة الفرات التي انتصر فيها المسلمون على التتار في عهد الظاهر بيبرس سنة 671هـ وانتصر فيها المسلمون، تغنى الشعراء بذلك الانتصار، ومنهم من شارك فيها بسيفه وشعره كابن النقيب الفقيسي ت687هـ الذي يقول مصوراً اجتياز الفرات: من الطويل (الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات 2000، 210/10)

ولما ترامينا الفرات بخيلنا سكرناه منا بالقوى والقوادم
فأوقفت التيار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى والغنائم

يعبّر الشّاعر عن اعتزازه وفخره بالنصر الذي حققه جيش المسلمين بقيادة السلطان الظاهر بيبرس على شاطئ نهر الفرات وتمّ فيه سحق المغول، كما عبّر عن الشجاعة التي تميّز بها جيش المسلمين في عبوره نهر الفرات لملاحقة العدو، وتصوير الهزيمة التي مني بها المغول. فيما نجد الشهاب محمود الحلبي ت725هـ يعبّر عن انتصار جيش الإسلام على الروم سنة 675هـ بقيادة السلطان ركن الدين بيبرس، وما أعقبها من تتبع لفلول المغول في المدن الشامية، مبرزاً تضحيات جيش المسلمين وحنكة قائده فيقول: من الطويل (بن تغرى بردي دت، 7/ 170-172)

كذا فلتكن في الله تُمَضَى العزائم وإلا فلا تجفو الجفون الصّوارمُ
سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت عليه و سوره الظّبّا واللهاذمُ
بجيش تظلّ الأرض منه كأنّها على سعة الأرجاء في الضيق خاتمُ
كتائب كالبحر الخضمّ جياها إذا ما تهادت موجه المتلاطمُ
تحيط بمنصور اللّواء مظفر له النّصر والتأييد عبد وخادمُ
جلا حين أقذى ناظر الكفر للهدى ثغوراً بكى الشيطان وهى بواسمُ

ويستمر في تصوير بسالة الجيش في أرض المعركة وشجاعتهم، وفي المقابل هزيمة المغول، وفداحة ما لحقهم من القتل والأسر والتشريد فيقول: من الطويل (بن تغرى بردي دت، 7/ 170-172)

وسالت عليهم أرضهم بمواكب لها النَّصر طوع والزمان مسالمٌ
أدارت بهم سورا منيعا مشرفاً بسمر العوالى ما له الدهر هادمٌ
فأهَّووا إلى لثمِ الأسنَّةِ في الوغَى كأنَّهم العشَّاقُ وهى المباسمُ
وصافحت البيض الصِّفاح رقابهم وعانقت السَّمر القدود النواعمُ
فكم حاكم منهم على ألف دارع غدا حاسراً والرمح فيه حاكمٌ
وكم ملك منهم رأى وهو موثق خزائن ما يحويه وهى غنائمُ

فالشاعر في هذه القصيدة يعبرُ بعاطفة صادقة ومشاعر تفيض بالحب والتقدير، والإعجاب والتعظيم، والفخر والاعتزاز بجيش المسلمين وسلطانهم الملك المظفر قطز الذي تحقق النصر بقيادته، وما كان له من أثر في رفع معنويات المسلمين، وكسر شوكة المغول كون هذه المعركة هي التي فتحت باب الهزائم المتلاحقة بالتنازول ومن معهم من الصليبيين وغيرهم، فالأبيات تعبير واضح عن مشاعر أمة بكاملها، وقضية مجتمع، وتصوير الفرحة التي عمّت المجتمع العربي بهذا النصر العظيم، الذي أعاد للأمة اعتبارها.

ومن المعارك والوقائع الحربية التي وصفها الشُّعراء في العهد المملوكي الأول واقعة مرج الصُّفَر في دمشق سنة 702هـ والتي انتصر فيها المسلمون على التتار، من ذلك ما نجده عند الشاعر جمال الدين التبريزي ت740هـ في قصيدة طويلة عبّر فيها عن فرح المسلمين بهذا النصر وأثنى على تضحيات جيش المسلمين، وصوّر هزيمة الأعداء، وشناعة مصارعهم فقال: من البسيط (النويري 2004م، 32/ 33)

الله أكبر جاء النَّصر والظَّفَر والحمد لله، هذا كنت أنتظر
كنانة الله مصر جندها ثبتت لا ريب فيه وجند الله تنتصر
ثاروا سراعا إلى إدراك ثأرهم وهجّروا في طلاب المجد وابتكروا
لله كم دُيّنوا في نصر دينهم وأنفقوا في سبيل الله ما ادّخروا
حتى أتوا جَلَقاً في يوم ملحمة فيه الأسود أسود الغاب تهتصر

والجوّ أغبر والتاتار زاحفة
والسيف ينثي بديعاً من فواتره
حتى إذا عبّ مثل البحر جحفلنا
أصلوهم جاحما يشوي الوجوه وقد
أين المفر وقد حام الحمام بهم
أموا الفرات وقد راموا النجاة فكم
جميعهم قتلوا صبراً وأعظمهم
لم يقبروا في نواويس ولا جدث
وإنما في بطون الوحش قد قبروا

وأما الحروب الصليبية فقد شهد العهد المملوكي الأول كثيراً من المعارك والمواجهات، فقد عمل المماليك على مطاردة الصليبيين الذين استغلوا لحظات ضعف المسلمين، واستولوا على بعض المدن الشامية، فصور الشّعرَاء تلك الانتصارات معبرين عن فرحهم بها، واستحقاق النصر لما حلّ بهم جزاء تأمرهم ومكرهم وخداعهم للمسلمين ومن ذلك وصف الهاء زهير ت656هـ لفرحة المسلمين بالانتصار على الفرنجة، ومهننا قائد الجيش فقال: من الطويل (إبراهيم وآخرون دت، 101)

لِمَئِنَّكَ مَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ إِنَّمَا
وَمَا فَرِحْتَ مِصْرُ بِذَا الْفَتْحِ وَحَدَّهَا
وَلَيْلَةَ غَزْوٍ لِلْعَدُوِّ كَأَنَّهَا
فَيَا لَيْلَةً قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهَا
مَوَاقِفُ هُنَّ الْغُرُ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ
لَقَدْ فَرِحْتَ بَغْدَادُ أَكْثَرَ مِنْ مِصْرٍ
بِكَثْرَةِ مَنْ أَرَدَيْتَهُ لَيْلَةَ النَّحْرِ
وَلَا غَرَوْا إِنْ سَمَّيْتُهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ

فيما يعبر الشهاب الحلبي عن فتح عكا سنة 690هـ، وانتصار المسلمين على الصليبيين، مصوراً قيمة ذلك النصر في قلوب المسلمين، وأثره المؤلم في نفوس النصارى فيقول: من البسيط (الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات 2000، 254/13)

الْحَمْدُ لِلَّهِ زَالَتْ دَوْلَةُ الصُّلْبِ
هَذَا الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ لَوْ طَلَبَتْ
مَا بَعْدَ عَكَا وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِهَا لِلْكَفْرِ إِذْ خَرِبَتْ
وَعَزَّ بِالْثُرِكِ دِينَ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِيِّ
رُؤْيَاهُ فِي النَّوْمِ لَأَسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ
فِي الْبَحْرِ لِلشَّرِكِ عِنْدَ الْبَرِّ مِنْ أَرَبٍ
فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ مَا يُنْجِي سِوَى الْهَرَبِ

يَا يَوْمَ عَكَّا لَقَدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقْتُ بِهِ الْفُتُوحَ وَمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ
أَغْضَبْتَ عَبْدَ عِيسَى إِذْ أَبَدْتَهُمْ لِلَّهِ أَيُّ رِضَا فِي ذَلِكَ الْغَضَبِ

فالشاعر هنا يعبر عن الفرحة الغامرة والبشارة العظيمة بانتصار دين النبي العربي محمد ﷺ على يد المماليك، وإذلال دولة الصليبان، وفيه إشارة إلى أن عزة العرب مرهونة بعزة الدين الإسلامي، كما يعبر عن عظم هذا الفتح وكأنه لعظمته قد جعل كل الانتصارات التاريخية السابقة تتضاءل أمامه وتصغر دونه.

وهذا ابن الوردي ت749هـ يهني جيش المسلمين في فتح أحد حصون الفرنجة وهو قلعة النكير في بلاد سويس سنة 736هـ فيقول: من الطويل (هنداوي 2006م، 194)

نزلتم على الحصن المنيع جنابُهُ فليس تبالي مَنْ تغولُ الغوائلُ
فلزلتموه خيفةً ومهابةً فأثقلَ رضوى دُونَ ما هوَ حاملُ
فكم أنشدَ التكفورُ يا حصنُ لا تبُلْ ولو نظرتُ شزراً إليكَ القبائلُ
فقالَ له: اسكتْ ما رأيتَ الذي أرى وأيسرُ هجري أني عنكَ راحلُ
ألم ترَ ما قد حلَّ بي من قتالهم ولا ذنبَ لي إلا العلا والفواضلُ

فالشاعر يقيم حواراً بين قائد الفرنجة وبين الحصن المنيع الذي فتحه المسلمون، وأراد الشاعر من هذا الحوار إبراز فجاعة الفرنجة بسقوط هذا الحصن بالرغم من مناعته وشدة تحصينه، فهو تصوير لمدى ما أصاب الفرنجة من دهشة وذ هول وخوف وحزن، ومن جهة أخرى فيه تصوير لبسالة الجيش الإسلامي وقوته في دك معاقل العدو وتحصيناته، والجميل أن الشاعر يسجل هذه الأحداث في صور بديعة، بأسلوب حوارى مثير، موظفاً أسباب البلاغة وأساليبها الفنية من تشخيص واستعارة وكناية وغيرها؛ ليضفي على النص قيمةً جمالية مؤثرة في المتلقي.

وهكذا يتضح لنا مما سبق من الشواهد أن الشعراء قد عبّروا عن مشاركتهم الفاعلة للمجتمع العربي في قضاياه وهمومه ونضاله وصموده في مواجهة ما يحيكه الأعداء من مؤامرات، كما صوروا بطولات المسلمين وانتصاراتهم، وفرحتهم بها، أي أن الشاعر العربي قد جند لسانه وشعره محرضاً على الجهاد وداعياً إلى الثبات، ومفتخراً بانتصارات المسلمين، ومخلداً لتضحياتهم وبطولاتهم، وقد صور الشاعر ذلك بكل أمانة ودقة، جمع فيها بين متانة

الأسلوب وجمال التصوير، وأعرب فيها عن عواطف صادقة، ومشاعر قومية حقيقة تنبئ عن مشاركة حقيقية لتلك الأحداث والمواقف البطولية.

كما عبّر الشعراء في العهد المملوكي الأول عن سرورهم ومشاركتهم لمجتمعاتهم وجيوشهم وقاداتهم في انتصاراتهم، فقد عبّروا كذلك عن ألمهم وحزنهم لما أصاب أمتهم من الدّل والهوان وما لحقها من الهزائم والنكبات، وأثارها الكارثية على الإنسان العربي وحضارته ودينه ومقدساته.

ولعل البلاد العربية لم تشهد نكبة أعظم مما شهدته في الغزو المغولي الغاشم عندما اجتاحت عاصمتها بغداد ومدنها الأخرى، وارتكب فيها أبشع الجرائم الإنسانية، إذ لم يستثن العدو شيئاً من مظاهر الحياة إلا أتى عليه قتلاً للرجال، وهتكاً وسبياً للنساء والصبيان، وتدميراً لمعالم الحضارة والبنين، ونهباً للأموال والممتلكات، فعظم ذلك على الشاعر العربي وهالته صورة الخراب والدمار، ومشاهدها التي تُدمى لها القلوب، وتدمع لها العيون، فصوروا أحزانهم وآلامهم ورثوا بلدانهم المنكوبة ووصفوا ما حلّ بها من البلاء والظلم والخراب والدمار، فمن ذلك وصف تقي الدين ابن أبي اليسر التنوخي ت672هـ ما حلّ ببغداد سنة 656هـ، من الخراب والدمار، والعار والشنار فيقول: من البسيط (الذهبي 1993م، 48/38)

علا الصليبُ على أعلى منابرها	وقام بالأمر من يحويه زناؤ
وكم بُدور على البدرية انخسفت	ولم يعد لبدور الحيّ إبدار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم	على الرقاب وحُطت فيه أوزار
ناديت والسبي مهتوك تجرهم	إلى السّفاح من الأعداء ذعار
والله يعلم أنّ القوم أغفلهم	ما كان من نعم فيهنّ إكثار
فأهملوا جانب الجبار إذ غفلوا	فجاءهم من جنود الكفر جبار
يا للرجال بأحداثٍ يحدثنا	بما غدا فيه إعدار وإنذار
إنّ القيامة في بغداد قد وُجدت	وحدها حين للإقبال إديار

يصور الشاعر في الأبيات السابقة ما حلّ ببغداد عاصمة الخلافة العباسية من الخراب والدمار والظلم وانتهاك الحرمات، ويختزل ذلك المشهد الفظيع والمرعب فيشبهه بأحوال القيامة، مرجعاً أسباب ذلك إلى غفلة الناس عن ربهم ودينهم، وانشغالهم بالمتع والملذّات، واللهو والفساد حتى عاقبهم الله بهذه الأحداث المؤلمة، والإنذارات العاجلة.

وهذا شمس الدين الكوفي ت675هـ يقيم حواراً مع بغداد، مصوراً ما أصابها من دمار،

وما أصاب أهلها من قتل وتشريد، وذللّ وهوان فيقول: من الكامل (اللمهبي 2009م، 27)

ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيران
وحياتكم ما حلها من بعدكم غير البلى والهدم والنيران
ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم ووقفت فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم فتكلمت لكن بغير لسان
ناديتها يا دار ما صنع الأولى كانوا هم الأوطار في الأوطان
أين الذين عهدتهم ولعزمهم ذلاً تخر معاهد التيجان
قالت: غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزمهم بهوان

فالشاعر يعبرُ بعاطفة صادقة ومشاعر أليمة تحمل في طياتها الحزن العميق والجرح الغائر، وتنبئ عباراته عن معاشة حقيقية لما حلّ بمدينة، فهو يصف واقعاً أليماً شاهده بحواسه وأحسّه بمشاعره ووجدانه، وهو ما يجعل القارئ يحسّ بإحساس الشاعر ويعيش مشاعره الأليمة، وهنا تكمن القيمة الإنسانية للشعر العربي وقدرة الشاعر على تصوير مشاعره وإيصالها إلى الآخرين، كما تكمن القيمة الفنيّة في الحوار الذي يجريه الشاعر مع بغداد (ما للمنازل، سألها، أين الذين عهدتهم، فتكلمت، قالت...)، فضلاً عن التشخيص، المطابقات، والمجانسات، والمقابلات التي منحت النص قوة جمالية تأثيرية.

ويصوّر علاء الدين الأوتارّيّ الدمشقيّ ت736هـ ما حلّ بدمشق عندما استولى عليها التتار

سنة 699هـ، وارتكبوا فيها أنواعاً من الجرائم، متسائلاً هل لها من نهاية؟ وهل من مخلص منها؟

فيقول: من الكامل (النويري 2004م، 5/ 227-228)

أحسن الله يا دمشق عزاك في مغانيك يا عماد البلاد
وبأنس بقاسيون وناس أصبحوا مغنماً لأهل الفساد
طرقتهم حوادث الدهر بالقتل ونهب الأموال والأولاد
وبنات محجّبات عن الشمس س تناءت بهنّ أيدي الأعادي
وبيوت فيها التلاوة والذكور ر وعالي الحديث بالإسناد
حرّقوها وخرّبوها وبادت بقضاء الإله ربّ العباد

أصبحوا اليوم مثل أمس تقصّي وبكتهم سماؤهم والغوادي
يا ترى هل لكرّنا من مجير أم لتشدّيد أسرنا من مفادي
غير أنّ الفساد يكسب ذلّاً ويعيّي الفساد طرق السّدادِ
ويقول جمال الدين التبريزي ت740هـ محرّضاً جيش المسلمين، ومذكراً لهم بجرائم
أعدائهم بحق الشعوب العربية: من البسيط (النوري 2004م، 35/32)

اشفوا صدوركم إن كنتم غيراً على نسائكم يا قوم وادّكروا
كم من عجوز ومن شيخ ومكتهل ومن فتاة نماها الحسن والخفرُ
وذات بعل مخبّاة مخدّرة من دونها تضرب الأستارق قد أسروا
ومربع أقفروا من بعد ساكنه وعقد شمل نظيم جامع نثروا
وكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا وكم تملّوا بما نالوا وكم فجروا
وهكذا يتضح من خلال ما تقدّم من الشواهد الشّعريّة التي عرض فيها الشّعراء لبعض
المشاهد الإنسانية الأليمة، والآثار الكارثية المفجعة التي حلّت بالمدن العربيّة نتيجة الحملات
المسعورة، والهجمات البربريّة من قبل أعداء العروبة والإسلام أنّ الشاعر العربي في العهد
المملوكي الأول كان على صلة وثيقة بمجتمعه وأحداث عصره المختلفة، إذ عبّر عنها بعاطفة
إيمانية صادقة، وحزن جارٍ على أوطانه المنكوبة، كما صوّر بكل دقةٍ وواقعيةٍ ملاحم أمته
وانتصاراتها، وما مُنيت به في انتكاساتها ونكباتها، وهو تعبير سجل فيه الشاعر العربي حضوره
الحقيقي، ومشاركته الإنسانية الفاعلة لآلام أمته وآمالها في مختلف الظروف والأحداث،
موظفاً ما يملكه من مهارة فنية وإبداعية؛ ليضفي على النصوص الشعريّة جمالاً فنياً، وتأثيراً في
المتلقي، جامعاً فيه بين عمق المعنى ومتانة الأسلوب، وجمال التصوير.

2. المبحث الثاني: قضايا نقد ظلم السلطة وفسادها السياسي والاجتماعي:

ربما تكون طبيعة الصراع السياسي في العصر المملوكي تختلف عن غيرها من العصور
السابقة؛ لأسباب تتعلق بالظروف السياسية والاجتماعية المختلفة والتي كان لها أثر في رسم
ملامح الحياة الثقافية والأدبية في هذا العهد، فطبيعة الصراع السياسي في البلاد العربيّة
والإسلامية لم تعد أسبابه داخلية خاصة كالقبلية والأسرية أو المذهبية والفكرية كما كانت من
قبل في العصرين الأموي والعباسي ينظر: (الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي

1995م، 268) و (السقا 2012، 68) وترتكز في الغالب على الجنس العربي في إدارة الصراع السياسي، بل أصبحت عناصره خارجية عامة، وهو صراع الأديان والأطماع الغربية والشرقية، لاسيما بعد تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وسقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية بيد الغزو المغولي وعجز الخليفة العباسي في الدفاع عنها، فيما لم يوقف زحف المغول إلا جيش المماليك في مصر، فقد انتصر المسلمون وسحقوا المغول في عين جالوت بقيادة السلطان المظفر قطز أول سلاطين دولة المماليك بعد تأسيسها ينظر : (سلام دت، 16-18).

تلك الأحداث بحسب زعم البحث ربما سرّعت في تغيّر طبيعة الصراع السياسي وعناصره، إذ أصبح المماليك والأتراك في نظر العامة من الأمتين العربية والإسلامية هم المؤهلون لقيادة المجتمع العربي والإسلامي والدفاع عنهما وعن مقدساتهما، والوقوف أمام الأطماع الصليبية والمغولية، وهي حقيقة تؤيدها الوقائع والأحداث، ولكن ربما استغل المماليك ذلك فعملوا على تفردهم بالسلطة والثروة وفرض ذلك بالقوة، مستغلين تعاطف العامة واستمرار الخطر الصليبي والمغولي اللذين ما زالا قائمين ينظر: (الأيوبي، جدلية العلاقة بين الشعر والسلطة في العصر المملوكي 1988م، 199-203).

وبالرغم من الظروف السياسية القاسية التي فرضها المماليك لتدعيم بناء دولتهم وتقوية نفوذهم، وإحكام سيطرتهم وتفردهم بالسلطة والثروة من خلال إقصاء المناوئين، وإسكات الأصوات والأفواه الناقدة والناقمة على التصرفات الخاطئة، والسلوكيات الفاسدة لكثير من سلاطينهم ينظر: (سعداوي 1966م، 4-8) و (الأيوبي، جدلية العلاقة بين الشعر والسلطة في العصر المملوكي 1988م، 199-203)، ومع ذلك لم يتوقف الشاعر العربي عن القيام بوظيفته الإنسانية في التعبير عن المساوئ السياسية والاجتماعية تارة بأسلوب مباشر ناقداً ومقوّمًا ما أعوجّ من السلوكيات، وتارةً بأسلوب غير مباشر ساخرًا ومتهمًا.

وإقدام بعض الشعراء في هذا العهد على القيام بهذه الوظيفة الإنسانية يُعدّ ظاهرة بالغة الأهمية، لأنها نادرة الحدوث في تاريخ الأدب العربي، كما أنها دليل يقظة فكرية وجراءة نفسية لدى شعرائه، وقد تناول الشعراء في هذا العهد كثيراً من القضايا السياسية والاجتماعية ذات العلاقة بالممارسات الخاطئة والسلوكيات السيئة للسلطة وأجهزتها القضائية

والتنفيذية ينظر: (عمرو 2009م، 88) و (عبدالرحيم 2013م، 55) ويمكن تناول أهم تلك القضايا والممارسات التي عبّر عنها الشعراء في محورين:

1.3. أ- قضايا الظلم السياسي والاجتماعي للسلطة وأجهزتها:

يعدّ الظلم السياسي والاجتماعي من أشدّ أنواع الظلم قساوة، إذ تعمُّ آثاره المجتمع بأكمله، نظراً لصدوره من أرباب السلطة وأجهزتها، الذين من المفترض أن يحموا المواطن من أيّ تعسف قد ينال من رزقه وقوته أو من حريته وكرامته أو من حياته ووجوده، وقد أفرزت الظروف السياسية والاجتماعية المجتمع العربي في عهد المماليك إلى سبع طبقات اجتماعية، و بسبب الظلم السياسي والاجتماعي فقد شكّل سلاطين المماليك الطبقة الأولى، وأثرياء التجار الطبقة الثانية، وتأتي الطبقة الثالثة لتشمل متوسطي الحال من الباعة وأصحاب المعاش وهم السوق، ثمّ الطبقة الرابعة وهم أصحاب الفلاح وأهل الزراعة، والطبقة الخامسة الفقراء وهم جُلّ الفقهاء وطلاب العلم والجنود، وأما الطبقة السادسة فهم أرباب الصنائع والأجراء، وآخرها الطبقة السابعة وهم ذوو الحاجة والمسكنة، وقد استحوذت الطبقة الأولى ومن شاركهم الظلم من أثرياء التجار في الطبقة الثانية على كلّ شيء، وتركزت الشعب يعانون ويلات البطالة والفقر بعد استئثارها بالسلطة والثروة ينظر: (بن تغرى بردي دت، 309/10-310) و (سلام دت، 47/1-48).

وقد أورثت تلك الطبقية، والاستحواذ على السلطة، والانفراد بالثروة نقمةً في قلوب الشعوب المغلوبة على أمرها، وتجلت تلك النقمة على لسان شعرائها الذين أحسّوا بمعاناة شعوبهم بل واكتوى كثير منهم بنارها، فعَبّروا عنها بكل ما أتيح لهم من وسائل النقد وأساليبه، أحياناً بشكلٍ صريح ومباشر، وأحياناً أخرى بالتلميح والتعريض الساخر، ولعل من أهم صور الظلم التي عانى منها المجتمع العربي، وعَبّر عنها شعراؤه إقصاء أهل العلم والمعرفة، والخبرة والكفاءة من تولي شؤون الناس ووظائف الدولة، فهذا ابن النقيب الفقيسي ت687هـ ينتقد أميراً تولّى الوزارة وهو جاهل فيقول: من الخَفِيف (الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات 2000، 33/12)

أَبْكَمُّ قَلْدُوهُ أَمْرَ الرِّعَايَا وَهُوَ مِنْ حَلِيَّةِ الْوِزَارَةِ عَطْلُ
فَهُوَ بِالْبُوقِ فِي الْوِزَارَةِ طَبْلُ وَهُوَ فِي الدِّسْتِ حِينَ يَجْلِسُ سَطْلُ

وينتقد ابن دقيق العيد ت702هـ جهل أهل المناصب وازدراءهم أهل العلم والفضائل

فيقول: من البسيط (السبكي 1992م، 9/ 215)

أهلُ المناصبِ في الدنيا ورفعتُها أهلُ الفضائلِ مردولون بينهم
قد أنزلونا لأننا غيرَ جنسِهِم منازلُ الوحشِ في الإهمالِ عندهم
فما لهم في توقي ضُرنا نظرٌ وما لهم في ترقّي قدرنا همٌ
فليتنا لو قدرنا أن نعرِفَهُم مقدارَهُم عندنا أو لو دروه هُم
لهم مريحانٍ من جهلٍ وفرطٍ غنى وعندنا المتعبانِ العِلْمُ والعَدَمُ

لقد صوّر الشّاعران قضية اجتماعية وسياسية مهمّة في المجتمع العربي خلال العهد المملوكي وهي إزاحة أهل العلم والفقه والخبرة عن إدارة الدولة وتمكين من لم يكن له عهد أو صلة أوفهم وعلم بتلك المهام، إذ أصبح المعيار في تولي المناصب هو مقدار الولاء للسلطين، والأولوية للمماليك حتى يضمن السلطين بقاءهم في السلطة وتنفيذ سياساتهم، وقد انعكس ذلك على حياة الناس ظلماً وجوراً، وفشلاً ذريعاً في إدارة شؤون الدولة لاسيما الأوضاع الداخلية؛ لأنّ خبراتهم كانت تتركز في الجانب العسكري لا المدني ينظر: (عاشور 1976م، 320)، وقد عرض الشاعر ذلك في أبياته بأسلوب فني ساخر، لاسيما قوله في البيت الأخير (لهم مريحان من جهلٍ وفرطٍ غنى) وما فيه من تهكم وسخرية؛ لغرض الهجاء.

ولعلّ من نتائج الظلم وشيوعه في هذا العهد أن أصبح البطش والظلم من مؤهلات القاضي، ومن يتولى المناصب؛ مما جعل كثير من أهل العلم والعدل يزهّدون في توليها كقول ابن الوردي ت749هـ مستعملاً حواراً مقتضباً: من البسيط (هنداوي 2006م، 40)

قالوا فلم تطلبِ العزلَ الذي هربَتْ منه القضاةُ قديماً غايةَ الهربِ
فقلتُ نحنُ قضاةَ البرِّ مهملةٌ أقدارُنا قَهْبي (كالأوقاصِ) في النصبِ
مَنْ كان منّا جريئاً أكرموه وولّ وه المناصبَ بالخطباتِ والخطبِ
ومتقي اللهَ منّا مهملاً حرجٌ مروّع القلبِ محمولٌ على الكربِ

كما انتقد الشّعراء ظلم الولاة والأمراء الذين تسلطوا على حقوق الناس وأرزاقهم، ومن ذلك شكوى البوصيري ت696هـ التي حملها إلى السلطان، يشكو فيها ظلم عمّال الخراج للرعية فقال: من البسيط (كيلاني 1973م، 264-265)

فَقُلْ لِسُلْطَانٍ مُصَرٍّ وَالشَّامِ مَعًا يَا قَاهِرًا غَيْرَ مَخْفِيٍّ الْبَرَاهِينَ
 اكْشِفْ بِنَفْسِكَ أُسْوَانًا وَمَنْ مَعَهَا مِنْ الصَّعِيدِ بَلَا قَوْمٍ مَسَاكِينَ
 عَمَّالُهَا قَدْ سَبَّوهُمْ مِنْ تَطْيِيهِمْ مَا لَا يَكُونُ بِمَقْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ
 كُلُّ تَرَى كَاتِبًا لِلْسُّوءِ يُنْظَرُهُ لِنَهْيِهِمْ كَمْ كَذَا عَامٍ وَكَمْ حِينٍ
 لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقَهَا وَلَا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالِدِينَ

وهذا ابن فضل الله العمري ت749هـ ينتقد حبس شيخ الإسلام ابن تيمية دون أي مبرر حتى فارق الحياة في سجنه، ويستنكر على من فعل ذلك، فيقول: من البسيط (غريب 2008م، 216)

مثلُ ابن تيمية يُنسى بحبسه حتى يموتَ ولم يُكْحَلْ به بصرُ؟
 مثلُ ابن تيمية تُرضاه حواسدُه بحبسه أولُكُم في حبسه عذرُ؟
 مثلُ ابن تيمية في السجنِ معتقلُ والسجنُ كالغمدٍ وهو الصارمُ الذكرُ؟

فلا يخفى على القارئ ما في الثلاثة الأبيات من قيمة إيقاعية ودلالية ناتجة عن التكرار والاستفهام الإنكاري المستهجن لقضية ظلم ابن تيمية وسجنه بغير حق؛ مما يجعل النص أكثر تأثيراً في المتلقين.

ومن النقد الصريح الموجه للسلطين انتقادهم بالغفلة، والتغاضي عما يقوم به الولاة من الظلم والتعسف، كقول البوصيري ت696هـ منتقداً ظلم الجند وحرمانهم: من الوافر (كيلاني 1973م، 267)

أَمُولَانَا الْوَزِيرَ غَفَلَتْ عَمَّا يَهُمُّ مِنَ الْكِلَابِ الْخَائِنِينَ
 أَتُطَلِّقُ (جَامِكَيَاتٍ) لِقَوْمٍ وَتُنْفِقُ فِيَّ قَوْمٍ آخِرِينَ
 فَلَا تُهْمَلُ أُمُورَ الْمَلِكِ يَدَّلَ الْجُنْدُ لِلْمُتَعَمِّمِينَ

فيما كان بعض الشعراء يوجه انتقاده بأسلوب فكاهي تعريضي يغلب عليه طابع السخرية، كقول

ابن الوردي ت749هـ معلقاً على مرض الطاعون في معرة النعمان، التي عانت من ظلم حكامها: من البسيط (هنداوي 2006م، 88)

رَأَى الْمَعْرَةَ عَيْنًا زَانَهَا حَوْرُ لَكِنَّ حَاجِبَهَا بِالْجَوْرِ مَقْرُونُ

ماذا الذي يصنع الطاعونُ في بلدٍ في كلّ يومٍ لهُ بالظلم طاعونُ

فالبيت الأول يتضمن تورية لطيفة في كلمة (حاجبها) فدلالها القريبة على حاجب العين وجور جمالها ، ودلالها البعيدة على الوالي وجور ظلمه للناس، وهو توظيف بديع للتورية في سياق السخرية.

من خلال الشواهد السابقة يتضح جلياً أنّ الشاعر العربي قد عبّر عن قضية إنسانية مهمة في المجتمع العربي في العهد المملوكي الأول وهو الظلم السياسي المتمثل في الإقصاء من الوظيفة العامة، وتقييد الحرية، وامتهان الكرامة الإنسانية، والظلم الاجتماعي ممثلاً في فرض الجبايات على الناس، وتسلب الولاء ونوابهم على حقوقهم وممتلكاتهم، وعدم البتّ في قضاياهم وإنصاف شكواهم، معرّضاً بذلك بطرق فنية، وموظفاً أساليب البيان والبديع في رسم الصور النقدية الساخرة.

2.3. ب- قضايا الفساد الإداري والمالي للسلطة وأجهزتها:

عُرف عن سلاطين المماليك البذخ الزائد في الدور والقصور، وامتلاك الإقطاعات الكثيرة من الأرض والمزروعات، فقد سعوا بكل الوسائل إلى الاستئثار بالثروة والسلطة، وقد أوقعهم هذا السعي في كثير من أنواع الفساد إدارياً ومالياً، في حين يذوق المجتمع ويلات الجوع وآلام البطالة وتردي الخدمات.

وكان الشاعر العربي يرى ذلك فيثور في قلبه من النقمة والإنكار ما يثور في قلب مجتمعه، ويدفعه شعوره بمسؤوليته إلى عدم السكوت وضرورة مواجهة الباطل، فتوجه بالنقد لكل المظاهر السلبية للسلطة وأجهزتها ينظر: (الهيبي 1986م، 164-165) من ذلك ما تناوله الشاعر ابن الوردي ت749هـ في انتقاد تغيير النواب في الأقطار وعزلهم في مدد قصيرة، ما يتركه ذلك من آثار سلبية على المجتمع وتعطيل مصالحه فيقول: من المجتث (بن الوردي 1996م، 336/2)

هذي أمورٌ عظامٌ من بعضِها القلبُ ذائبٌ

ما حالَ قطرٍ يليه في كلّ شهرين نائبٌ

ومن مظاهر الفساد الإداري تولى الصبيان لمنصب السلطان، وربما الأطفال الذين لا يميّزون، فقد كان لحكمهم آثار سلبية جسيمة على أوضاع المجتمع، وضياع مصالح الناس،

وتفشي الفساد ينظر: (سعداوي 1966م، 5-13)، وما ترتب على ذلك من عدم قدرتهم على إدارة شؤون الدولة، ومن ذلك قول ابن الوردي ت749هـ: من البسيط (بن الوردي 1996م، 321/2)

سلطاننا اليومَ طفلٌ والأكابرُ خُلْفٌ وبينهم الشيطانُ قد نزعاً
وكيفَ يطمعُ مَنْ مسَّتهُ أن يبلغَ السُّؤلَ والسلطانُ ما بلغاً

ونجد البوصيري ت696هـ ينتقد إهمال النّواب من جميع الطوائف، ممن لا يحفظون حقوق الناس، فيشكوهم إلى السلطان قائلاً: من الوافر (كيلاني 1973م، 268-269)

يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الْأَخِذِينَا
وَقَالَ الْقَبِطُ إِنَّهُمْ بِمِصْرَ الْمُلُوكُ وَمَنْ سَوَاهُمْ
وَحَلَلَتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ لَهُمْ مَالِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
فَلَا تَقْبَلُ مِنَ النَّوَابِ عُذْرًا وَلَا النُّظَارِ فِيمَا يُهْمِلُونَا
فَلَا تَسْتَأْصِلِ الْأَمْوَالَ حَتَّى يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَا

ويقول في تضيق المستخدمين على الرعية وابتزاز أموالهم: من الكامل (كيلاني 1973م،

(172)

لو كنتُ أملكُ أمرهم من غيري لَمْ أَبْقِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَ ضُرُوسَا
يَرْعَوْنَ أَمْوَالَ الرَّعِيَّةِ بِالْأَذَى لَوْ يُحْلَبُونَ لِأَشْهَبِ الْجَامُوسَا
اللَّهُ أَرْسَلَهُمْ عَلَى أَقْوَاتِهِمْ (سُوسَا) وَقَدْ أَمِنُوا عَلَيْهَا السُّوسَا

وفي نقد الفساد والمحسوبية في توزيع أموال الوقف، ونقد القائمين عليه، واضطراب المعايير السليمة في التصرف بأمواله يقول أبو شامة المقدسي: من الخفيف (المقدسي 1974م،

222-224)

إنما تحصل الوقوف لشريدٍ رٍ ونذلٍ من العلوم مُبرا
أو لمن يلزم الأكابر لا يـ برح في خدمة لهم ومدحٍ وإطرا
فتعاطاه صاحب المال والجاه فزال المقصود منه وضراً
وغدا المستحق حيران ندما ن من الغبن ينظر العيش شزرا

ومن مظاهر الفساد المالي لسلطة الممالك تفشي الرشاوى، وقبول الهدايا لدى الحكام لاسيما القضاة، كقول البوصيري: من الوافر (كيلاني 1973م، 268)

إِذَا أَمْنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايَا وَصَارُوا يَتَجَرَّوْنَ وَيَزْرَعُونَ
تَحَيَّلَتِ الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلُّ أَمَانَتِهِ وَسَمَوُهُ الْأَمِينَا
وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْمًا وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا
وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ سِوَى مَنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَا

كانت تلك بعض الشواهد الشعيرية التي من خلالها ظهر جلياً تميّز الشاعر العربي في العهد المملوكي الأول بملكة نقدية وجراً قوية وحسّ نقدي ذكي ومرهف، فقد عبّر الشاعر بلفترات نقدية مهمّة عن كثير من معاناة الإنسان العربي، وصوّر أشكال الظلم السياسي والاجتماعي الذي تمارسه السلطة المملوكية بحقه

كالإقصاء من الوظيفة ومصادرة حقوقه وحريته، والتضييق عليه في رزقه وعيشته، كما سلّط الاهتمام على كثير من المفاصد السياسية والاجتماعية للسلطة وعمّالها، كنولي الأطفال، وتتابع التعيين والعزل للسلطين والنواب، وسوء الإدارة، وغياب العدالة وتفشي ظاهرة الرشاوى، وشراء المناصب، وإرهاق المواطن بالإتاوات المجحفة، وسوء التصرف في أموال الوقف والصدقات، وغيرها من المظاهر السلبية الفاسدة.

4. خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- لوحظ في شعر العهد المملوكي الأول الذي تناول فيه الشعراء الانتصارات والملاحم العسكرية والبطولية لجيش المسلمين وقاداته أنّ الشاعر العربي قد جنّد لسانه وشعره في الدفاع عن العروبة والإسلام من خلال مشاركته الفاعلة للمجتمع العربي والإسلامي في قضايا الكبرى التي تستوجب نضاله وصموده في مواجهة ما يحرق به من أخطار وما يحيكه الأعداء من مؤامرات، محرضاً على الجهاد، ومفتخراً بانتصارات جيش المسلمين وقاداته، ومخلّداً تضحياتهم التي سطورها في مواطن الدفاع عن العروبة والإسلام.

2- كما لوحظ كذلك تصوير الشاعر العربي لكثير من المشاهد الأليمة، والآثار الكارثية المفزعة التي حلّت بالمدن العربية نتيجة الهجمات البربرية من قبل أعداء العروبة والإسلام، وهو أمرٌ يؤكد أنّ الشاعر العربي في هذا العهد كان على صلة وثيقة بقضايا أمتة السياسية وأحداث

عصره المختلفة، لذا فقد أعرب فيها عن عواطف نفسية صادقة، ومشاعر قومية ملتهبة، تنبئ عن مشاركة حقيقية وتفاعل صادق مع

الأحداث السياسية المهمة والمواقف الوطنية العظيمة.

3- امتلك الشاعر العربي في هذا العهد الجرأة والشجاعة في انتقاد صور كثيرة من الظلم السياسي والاجتماعي، والفساد الإداري والمالي لسلطة المماليك، بالرغم من قوة البطش والاستبداد التي غلبت على هذه السلطة، وهو أمر يؤكد قيام الشاعر العربي بواجبه في النضال الإنساني والكفاح السياسي بهدف الحفاظ على كرامة الإنسان وصون حقوقه وحرية.

4- لوحظ أنّ الشاعر العربي في العهد المملوكي الأول مصور بارع، يجيد رسم المعاني والأفكار، وتصويرها بشكل مثير ولافت، لاسيما التصوير الساخر لظلم السلطة وفسادها السياسي والاجتماعي، فهو يوظف كثيراً من أساليب البيان والبديع التي شاعت في ذلك العصر لاسيما التورية؛ ليكسب نصوصه الشعرية قيمةً جماليةً وفنيةً ودلاليةً، مثيرةً ومؤثرةً في نفس المتلقي.

5- ختاماً خلص البحث إلى تأكيد إنسانية الشّعر العربي من خلال اهتمامه بقضايا الإنسان والمجتمع، ومنها قضايا السياسية والاجتماعية ذات الصلة بحياة الإنسان العربي في واقعه الذي يعيشه.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

إبراهيم وآخرون، محمد أبو الفضل ومحمد طاهر، د ت، ديوان الهاء زهير، القاهرة، دار المعارف.

الأيوبي، ياسين، 1995م، آفاق الشّعر العربي في العصر المملوكي، جزّوس يرس.

باشا، عمر موسى، دت، ديوان صاحب شرف الدين الأنصاري، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

ابن تغري بردي، يوسف أبو المحاسن جمال الدين ت 874هـ، دت، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، زارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب.

الذهبي ت 748هـ، محمد، 1993م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الكتاب العربي

السبكي ت 771هـ، عبد الوهاب بن تقي الدين، 1992م، طبقات الشافعية الكبرى، مصر، دار هجر.

سعداوي، نظير حسان، 1966م، صور ومظالم من عصر المماليك، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دط.

سلام، محمد زغلول، دت، الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى، مصر، دار المعارف.

الصفدي ت 764هـ، صلاح الدين، 2000م، كتاب الوافي بالوفيات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

عاشور، سعيد عبدالفتاح، 1976م، العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، دار النهضة العربية.

كيلاني، محمد سيّد، 1973م، ديوان البوصيري، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده..

المقدسي ت 665هـ، أبو شامة، 1974م، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، بيروت، دار الجيل.

النويري ت 733هـ، أحمد، 2004م، نهاية الأرب في فنون الأدب، بيروت، دار الكتب العلمية.

هنداوى، عبدالحميد، 2006م، ديوان ابن الوردي، القاهرة، دارآفاق العربية.

الهييب، أحمد فوزي، 1986م، الحركة الشّعريّة زمن المماليك في حلب الشهباء، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن الوردي ت 749هـ، عمر بن مظفر، 1996م، تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية.

الأطروحات:

السقا، تغريد عباس، 2012م، شعر الهجاء في العصر المملوكي (دراسة نقدية)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة.

عمرو، نيفن محمد شاكر، 2009م، السخرية في الشّعري في العصر المملوكي الأول (648-784هـ)، برنامج اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين.

غريب، علي محمد، 2008م، شعر ابن فضل الله العمري ت749هـ جمع وتوثيق ودراسة، برنامج اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين.

المقالات:

الأيوبي، ياسين، أكتوبر 1988م، جدلية العلاقة بين الشعر والسلطة في العصر المملوكي، لبنان، مجلة الفكر العربي، مج9، ع53، الصفحات 190-206.

عبد الرحيم، رائد، 2013م، صور من النقد السياسي في أدب العصر المملوكي الأول -موقف السلطة من المثقف أنموذجاً، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج6، ع84، الصفحات 49-121.

اللهيبي، حسين عبدالعال، 2009م، شعر شمس الدين محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي جمع ودراسة، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ع15، الصفحات 1-35.